

## بين يدي الرسالة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فحينما نكون أمام قضية بأهمية القضية الفلسطينية وخطورتها، وحينما نكون أمام حركة مجاهدة بحجم الحركة الإسلامية الفلسطينية، في بذلها وعطائها وجهادها الغالي؛ فلا مجال هنا للمزايدة أو ادعاء الحكمة والخبرة، كما أنه لا حاجة أيضاً لكلمات المجاملات المجردة، أو المعالجات الآنية العارضة، لا حاجة لهذا ولا ذاك، بل الحاجة هنا هي للتذكير والتناصح بشأن القضية الأم والأهم بين القضايا الإسلامية.

ولهذا نبعث هذه الرسالة، من صدور ضاقت بما آلت إليه أحوال الأمة من ذل وهوان، وقلوب أدامها ما يقع بأهلها في الأرض المقدسة من نكال وأذى، في وقت عزّ فيه الصديق، وقلّ الرفيق، إن الجهاد في بيت المقدس وما حوله كان يحتاج إلى نواة، فكنتم أنتم النواة، وكان يحتاج إلى ترشيد، فكنتم الطليعة في سيره الرشيد، وهو الآن - ومع الأيام - سيحتاج إلى أن تتسع رقعته، ويحشد أنصاره، من خلالكم ومن خلال كل مهتم بأمر المسلمين معكم، وعندها؛ سيتحتم أن تكون هناك خطوط عريضة، وثوابت راسخة، يجتمع حولها كل المجاهدين تحت راية العقيدة والدين، بحيث تنطلق من أصولها الشرعية كل الفصائل، حتى يصبحوا

في مجموعهم الطلائع الحقيقية للطائفة المنصورة، التي أخبر النبي ﷺ أنها ستجتمع في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، يقاتلون على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

ورسالتنا هذه ليست موجهة فقط إلى فريق الكرامة والشرف من مجاهدي حماس والجهاد الإسلامي وغيرهم ممن بدأ يلتحق بهم في مسيرة الجهاد الشرعي، وإنما تتوجه - وربما بإلحاح أكثر - إلى الطلائع المتطلعة لنيل شرف الالتحاق بهم في مسيرة الجهاد الكبير الذي سيحتاج حتماً إلى جهود أجيال من الرجال.

إننا ننصح - والدين النصيحة - في أمور أصبح النصح فيها فريضة، والتواصي بها والتعاون عليها من أوجب الواجبات.

ونحن إذ نبعث هذه الرسالة إلى المجاهدين في أرض الأقصى وما حولها لأسباب ذكرناها<sup>(١)</sup>؛ فإن عموم هذه الرسالة ومضمونها نوجهه إلى كل المجاهدين في الأرض، بل هي رسالتنا التي نوجهها إلى كل مسلم على وجه البسيطة اليوم وغداً وبعد غد؛ فالإسلام لا يعرف حدوداً بين المسلمين، ولا يعرف فواصل تفرق بينهم في النصر والنصح والمشورة، أرض الإسلام أرض واحدة؛ كما أن ربهم واحد وعقيدتهم واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إذا دخل العدو بلاد المسلمين؛ فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: ص ٧، ٨، ٩، من هذه الرسالة.

(٢) الفتاوى الكبرى، (٤ / ٦٠٨).

أبا سليمان قلبي لا يطاوعني      على تجاهل أحبابي وإخواني  
إذا اشتكى مسلم في الهند أرقني      وإن بكى مسلم في الصين أبكاني  
ومصر ريحانتي والشام نرجستي      وفي الجزيرة تاريخي وعنواني  
أرى بخارى بلادي وهي نائية      وأستريح إلى ذكرى خراسان  
فأينما ذكر اسم الله في بلد      عدت ذاك الحمى من صلب أوطاني  
شريعة الله لمت شملنا وبنيت      لنا معالم إحسان وإيمان

وهناك أسباب مهمة تجعل المناصحة والمصارحة الآن أمراً واجباً أكثر من أي وقت مضى:

- منها: أنَّ الإعلام الغربي والإعلام العربي مارسا دوراً خطيراً في تشويه الحقائق، وتزييف الوعي، وتغيب الأمة مدة طويلة عن حقيقة القضية الفلسطينية، وأبعادها العقديّة والتاريخية والسياسية.

- ومنها: أن القضية الفلسطينية قد دخلت في الآونة الأخيرة أخطر مراحلها؛ بتخلي أكثر الأنظمة العربية والإسلامية عنها؛ بعد ثبوت إخفاق كل الحلول غير الإسلامية التي قدمها العلمانيون عبر أكثر من خمسين سنة.

- ومنها: أن منظمة التحرير الفلسطينية قد استهلكت جميع أوراقها، ولم تعد قادرة على التصدي لحمل المسؤولية سلماً أو حرباً؛ بعد أن تركتها الأنظمة تلقى مصيرها أمام الهجمة الإسرائيلية.

- ومنها : أن العدو اليهودي يحشد في تلك الظروف حشوداً هائلة لتنفيذ جملة من الأهداف المؤجلة طيلة العقود الماضية ؛ استغلالاً للظروف الدولية الراهنة ، وإذا لم يجد من يعرقل خطته فقد نجد أنفسنا أمام واقع أكثر استعصاء وصعوبة .

- ومنها : دخول أمريكا السافر على خط المواجهة المباشرة بجانب العدو اليهودي باسم «الحرب على الإرهاب» ، خاصة بعد صعود المحافظين اليهود الجدد ، وتحالفهم مع الصهاينة الإنجليين النصاري الذين يرون أن في دعمهم لليهود في فلسطين تحقيقاً للنبوءات التي يتعلقون بها .

- ومنها : - ولعل ذلك أهمها - أن الحركة الإسلامية توشك أن تصبح في واجهة الصراع الجهادي وحدها ؛ بعد أن سقطت وأخفقت كل السياسات العلمانية في حمل القضية والتصدي للعدو حرباً أو سلماً ؛ مما سيكسب القضية - في حال تجرد الصراع مع الإسلاميين - أبعاداً أخطر على كل المستويات ؛ فقضية فلسطين لم تعد مجرد خلافات سياسية ، أو تعقيدات دبلوماسية ، كما أنها لم تعد مجرد مشكلة أرض أو أزمة شعب ، بل أخطر من كل ذلك ؛ حيث تتطور القضية بسرعة إلى صراع ديني صريح ، دولة يهودية تتحرك في أجواء حرب صليبية وضمن منظومتها ، ضد حركات إسلامية أصبحت أحد الأهداف الرئيسة في تلك

الحرب العالمية الأمريكية اليهودية .

ومع ذلك نقول : لو كنا شعوباً بلا ماضٍ ، أو قبائل بلا مستقبل ، أو أمة بلا دين لقلنا : غلبنا على أمرنا وليس من الحكمة أن نواجه العالم المتوحد في تنكره لحقوقنا ، ولكن . . كيف ونحن خير أمة أخرجت للناس ، وديننا يشرنا بأن العقاب لنا في هذا الصراع ، وأن الدائرة ستدور على أعدائنا إذا استمسكنا بثوابت شرعنا ، وأخذنا بكل الأسباب المشروعة لنصرة قضيتنا ؟ !

لا مجال إذن لأن يستسلم الإسلاميون كما استسلم العلمانيون ، ولا مناص أمام الإسلاميين في فلسطين وخارجها من تجديد الاستعداد للمعركة المصيرية الطويلة - التي قد بدأت الآن - من الآن ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ . ١٧٥] .

لا شك أنكم - إخواننا المجاهدين - وأنتم في بؤرة الأحداث وفي معمرة المعارك ؛ تتطلعون إلى النصر من كل المسلمين في العالم ، وهذا حقكم الشرعي وهو واجبنا الديني ؛ حيث لا خير فينا إن لم نقدم هذه

النصرة لكل قضية إسلامية ؛ فكيف إذا كانت تلك القضية هي قضية صراع عقدي ، وقضية أرض مقدسة بنص القرآن؟! بل إننا نصارحكم أننا نتحدث معكم من منطلق المشاركة في المسؤولية قبل أن يكون حديثنا من منطلق المناصحات الأخوية ، فقضية فلسطين - كما استقر في الأدبيات الإسلامية - هي بحق القضية المركزية الأولى للمسلمين في العالم ، وليس في هذا مبالغة ، بل هذه هي الحقيقة المجردة ؛ لأن إنقاذ المسجد الأقصى مسؤولية كل مسلم ، ومواجهة الطغيان اليهودي على إخواننا في فلسطين هو مسؤولية كل مسلم ، وإقامة الجهاد لحرهم عن الأرض المقدسة وما حولها من أوطان المسلمين ، أصبحت مسؤولية كل من يتسبب إلى هذا الدين ؛ وذلك بحكم محكمات الشريعة ، وفتاوى العدول من علماء المسلمين .

إننا نستشعر - إخواننا في فلسطين - ولعلكم تشاركوننا في ذلك ؛ أن التصدي للهجمة اليهودية الأمريكية على بلادكم لم تعد تكفي فيه جهود فصيل واحد أو فصيلين من الحركات الإسلامية المجاهدة ، وبخاصة بعد أن دخل الصراع مرحلة «المواجهة الشاملة» التي تستهدف استئصال روح الإسلام من فلسطين ، وإسقاط راية الجهاد فيها بعد أن رفعت لأول مرة بتلك القوة منذ أكثر من نصف قرن .

لهذا نتداعى معكم لبحث أمثل السبل لإدارة تلك المعركة التي قد تمتد لأجيال ، والتي لا يمكن تحقيق نصر حقيقي فيها بدون بذل الأسباب

«الشرعية»- ونكرر : «الشرعية» لهذا النصر ، فالنصر في الإسلام- يا إخواننا- وكما تعلمون ؛ لا يكون إلا بالإسلام ، وقد شهد على ذلك تاريخنا كله قديماً وحديثاً ، نعم ؛ فقد شاء الله ألا تنتصر هذه الأمة أبداً بغير الإسلام ، حتى لا يقول المسلمون انتصرنا بغير الإسلام ، فتضيع حجة الله على العالمين .

وصدق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- عندما قال : «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»<sup>(١)</sup> . ولكن النصر بالإسلام ليس بمجرد دعوى الإسلام ، بل بحقيقة إقامة دين الإسلام ، فنصر الله لا يجيء إلا بأن نصر الله في دينه ؛ ولهذا قال- سبحانه- : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] ، وقال : ﴿ وَأُخْرَى تُجِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٣] ، فبقدر إيماننا وإخلاصنا وصدق يقيننا ، وتوكلنا وتواضع بعضنا لبعض يقترب نصرنا ، قال رسول الله ﷺ : «إنما ينصر الله هذه الأمة بضغيفها ؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»<sup>(٢)</sup> . والنصر قد يكون قريباً ،

(١) الأثر أخرجه : الحاكم في المستدرک ، في کتاب الإيمان (٦٢ / ١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال الألباني في الصحيحة (٨ / ١) : «وهو كما قال» .

(٢) أخرجه : النسائي في السنن الكبرى ، كتاب الجهاد ، باب : الاستنصار بالضعيف ، (٤ / ٣٠٥) ، رقم (٤٣٧٢) .

وقد يتخلف ويتأخر لأجيال إذا استمر التفريط في أسبابه الشرعية، وكل ذلك بحكمة.. وكل ذلك بسنن إلهية لا تتخلف: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

إننا نذكر إخواننا في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس أن صلاحهم وعبوديتهم لربهم، وتضرعهم وتذللهم بين يديه، والتزامهم بأمره ونهيهِ، وحرصهم على تركية النفس وتطهيرها من أدرانها من أعظم عدد النصر والتمكين، قال الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويتأكد ذلك عند التحام الصفوف، واشتداد القتال؛ ولهذا قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وكان أبو الدرداء - رضي الله عنه - يقول لأصحابه قبل القتال: «عمل صالح قبل الغزو؛ فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كانت الذنوب سبباً عظيماً من أسباب الهزيمة، وتدبروا قول الله - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]. وقوله - تعالى -: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) أخرجه: عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد، ص ٦١، رقم (٥)، وبوب له البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه فقال: «باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم» (٦ / ٢٤).



وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤] .

والنصر الذي نريده - أيها المرابطون - مهمته عسيرة ، وطريقه صعبة ، وأنتم أول من يدرك ذلك ؛ لأن العدو جبار ، والصديق خوار ، والناصر قليل ، ولكن كل ذلك يعوضه تأييد الله وولايته للفتة المؤمنة : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ، ﴿ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠] ، ويعوضه تأليف الله بين قلوب هذه الفتة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣-٦٢] ، وتعوضه محبة الله لهذه الفتة ونصرته إياها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤] .

فكيف نُكوِّن هذه الفتة؟ وكيف نُكوِّن هذا الصف؟ وكيف سيمضي هذا الكيان في استعدادة وجهاده واستشهادة؟ وما النصر الذي نريده من هذا الجهاد؟